"آراب تايم"

"السّلام عليكم" ممكن نحدد موعد؟

"بالتّأكيد، متى ترغب بذلك"؟

"غدًا السّاعة الواحدة".

سأكون عندك بالموعد".

هذه هي محادثة عاديّة نصادفها يوميًا آلاف المرّات بين النّاس. يعني لا شيء فيها خارج عن المُعتاد، غير أنّ الشخص الذي تواعدت معه لم يحضر حتى بعد مرور عدة أيام ولم يعتذر عن عدم مقدرته على الحضور بالموعد المحدد. والأدهى من ذلك أنه عندما اتصلت به معاتبًا له على عدم الحضور والاتصال، أبدى استهجانه لغضبي وادّعى أنني أضخّم الأمور.

يُعتبر الوقت أهم ما في حياة الإنسان، حتى أنه أثمن وأغلى من المال. ولعظم الوقت وأهميّته فقد أقسم الله سبحانه وتعالى به في كتابه الكريم في مواضع عدّة منها، قوله تعالى: "والعصر إنّ الإنسان لفي خُسر". وفي الحديث الشّريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اغتنم خمسًا قبل خمسٍ: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك".

احترام الوقت والالتزام به من أهم الأمور التي تؤثر على نجاحنا واستمرارنا في تحقيق الذات بشكل واضح.

ممّا يؤسف حقًا أننا في مجتمعنا العربي وثقافتنا لا نحترم الوقت ولا نوليه أهميّة. فالوقت والمواعيد والالتزام بهما عبارة عن مجرد توصية لا غير.

أعترف أنني حسّاس جدًا بكل ما يخصّ الوقت والالتزام به. هذا الأمر عرضّني كثيرًا للمشاكل والمُشاحنات خاصّة مع الأصدقاء المقرّبين والأقارب. باعتقادي أنّ عدم الالتزام بالوقت في مجتمعنا يعود إلى التّربية ثم إلى المدرسة ثم الجامعة والعمل، فإذا تم تعزيز تلك السّمة عبر تلك القنوات فإن الفرد يكبر وهو يحترم الوقت، لكن ما يحدث أنّ جميع تلك القنوات تتقبل سلوك التأخير أو نقض المواعيد، وكأنها غير مهمّة فلا تكون صفة احترام الوقت سمة من سمات الشّخصيّة، فالمجتمعات الغربيّة يمتازون بتقديس الوقت والمواعيد، والواحد منهم لديه برنامج مخطط ليومه يرفض أن يخترقه أحد أو يُفسده عليه، خلاف ما يحدث لدينا من عشوائيّة وعدم التزام، وعدم تنظيم في جميع أمورنا. فزياراتنا نخلف المواعيد فيها، والمواعيد مع الأصدقاء كثيرًا ما نتأخر فيها.

أكيد كلكم سمعتم بالمصطلح "توقيت عربي". هذا المصطلح يعني به قائله إنه لن يلتزم بالوقت، يعني إذا قال إنه سيلتقي بك الساعة الخامسة، معنى ذلك أنه لديه مجال للتأخر حتى ثلاث ساعات على الأقل. بالحقيقة هذا الاصطلاح هو من أكثر الاصطلاحات إهانة للمجتمع العربي، فهو تأكيد أننا لن نلتزم بالوقت المتعارف عليه عند الأمم الأخُرى، فالتوقيت لدينا والتأخير له صفة العروبة.

وأحد أكثر العبارات إهانة وعُنصريّة هي عبارة "شُغل عربي"، وهي عبارة يستعملها المجتمع الإسرائيلي اليهودي الذي يصف العمل العربي والأشغال العربيّة بأنها أعمال غير دقيقة وغير ماهرة، يعني بلغتنا العاميّة "شلفقة". هكذا هو الأمر بالنسبة للتوقيت العربي.

من أكثر الأمور إغاظة بالنّسبة لي هو أن تواعد شخصًا وتسأله متى ستأتي؟ أو متى سنلتقي؟ ويكون الجواب: "بعد الظهر، أو بعد العصر، أو بعد صلاة المغرب". ويستهجن هذا الشّخص عندما أسأله: "يعني أي ساعة؟ أعطني ساعة محددة". طبعًا هذا الأمر يمتاز به أصحاب الحرف والمهن، فهو يعطيك موعدًا وأنت متأكد أنه لن يفي بوعده. "يوم الجمعة بعد صلاة الظهر". وروح استنى أي جمعة وأي صلاة ظهر.

على فكرة، إذا نظرت اليوم إلى شبابنا، بكل ما يخصّ الوقت وعلامات الوقت، فإنك تجد ظاهرتين مهمّتين. أولهما أنّ معظم الشّباب ليس لديهم ساعات يد. فهم لا يحتاجون إليها بل يستبدلونها بساعات الهواتف النّقالة الذّكيّة، فكثيرًا ما تراه يفتح هاتفه المدمن على فتحه وإمساكه بحجة أنه يريد أن يرى كم السّاعة حتى لا يفوّت لقاءه مع رئيس الولايات المتحدّة.

لا يُدرك شبابنا اليوم أنّ قمة السّعادة لدينا، كانت عندما كنّا نحصل على ساعاتنا الأولى كأولاد. كانت ساعاتنا رقميّة على الأغلب من طراز "كاسيو"، حيث كنّا نضعها على أيدينا ونمشي ونحن مُختالون ويدنا اليسرى ترتفع عاليًا ليراها كل من

يلتقينا. وقمة سعادتنا كانت إذا سألنا أحدهم: "كم السّاعة؟" فنجيب بالتّفصيل الممل السّاعة كذا وكذا، وكلّنا فخر واعتزاز أننا قد أنجزنا المهمّة.

أما البعض الآخر من شبابنا فقد اتخذ السّاعة كحلية تزيّن يده. وهي عادة تكون ساعة مربّعة كبيرة، تزدان ببعض الأحجار الكريمة من ماركة "آرماني". سأغامر وأقول أنّ بعض هذه السّاعات متوقفة عن الحركة، فالهدف منها ليس معرفة الوقت إنّما إبراز جمالها على يد الشّاب، وإظهار قدرته الماديّة والاستعراضية.

إحدى المشاكل التي كنت أُعاني منها في عملي كمدير لمدرسة هي ظاهرة التّأخر لدى الطّلاب ولدى المعلّمين. كميّة الحجج والذرائع التي يتذرع بها هؤلاء، تفوق كل خيال، من أزمة السّير حتى المرض، أو عدم اشتغال المنبّه صباحًا. للأسف الشّديد هذه الظاهرة ما زالت مستمرّة حتى هذا اليوم وستبقى كذلك إلى فترة طويلة، حيث أرى كل يوم من نافذتي، جماعات الطّلاب التي تتأخر عن الدوام المدرسي، والأكثر إغاظة هو أنّ هؤلاء الطّلاب يسيرون على أقل من مهلهم.

هل تعلمون أنّ أكثر الأمور معارضة في أماكن العمل هو موضوع وضع ساعة عمل يقوم الموظف أو العامل بختمها صباحًا عند دخوله وختمها مساءً عند مغادرته. يتذمر الكلّ من هذه السّاعة، وكثيرًا ما تتلقّى هذه السّاعة كمًا هائلًا من الشتائم والمسبّات والدّعاوي غير المُستجابة، التي ترجو أن تتعطل أو تخرب أو تنكسر وهي عرضة للتخريب "والضرب" في كثير من الأماكن لدرجة أصبح أصحاب العمل يضعون الكاميرات، الظّاهرة والخفيّة، المسلّطة عليها.

إنّ الالتزام بالمواعيد تميُّز وانضباط وهو من أساسيّات الحياة ومتطلباتها. إنّ الدقّة في المواعيد يجب أن تكون من الأمور الحتميّة عند الانسان كونه سلوك حضاري يؤدي لنتيجة النّجاح والفوز والتّقدير والوصول السّريع للمبتغيات. إنّ الالتزام بالمواعيد صفة من صفات الأنبياء والمرسلين، وأدب من آداب الصّادقين الوفيين، فينبغي للإنسان العاقل الواعي المُدرك، أن يفي بوعده ويلتزم بوقته، فإنه في أقل الأحوال مُذهب للمروءة ويُحدث خدشًا في الأخلاق ونقصًا في الحياء.

وهل يصح أن ننهي مدونتنا بدون طرفة:

كنّا نسمّيه "طوطح" لأننا قلّما رأيناه إلّا راكبًا على حماره مطوطحًا رجليه في الهواء. وكان البعض يسمّونه "تمتم" لأنه كان، وهو راكب، يتمتم بعبارات مُبهمة، حيث اعتقد البعض أنه يمدّ حديثًا ذا شجون مع حماره الميمون. وكان جارنا هذا يحلف بشرف حماره. وكان حمار جارنا "طوطح" يحرن ويقف إذا انقطع حبل الكلام أو خفّت حرارة المجاملة بينه وبين صاحبه في أغلب الأحيان.

سألته في أحد الأيام عن عمره، قال "من يوم ما وقعت وكسرت وِركي وصرت أتعاطى مع الحمير، صرت "هاري" 12 حمار ما عدا هذا الحمار".

وابتسم وقال: "بس هذا يمكن يهريني قبل ما أهريه".

وسكت برهة وقطب حاجبيه كأنه يحاول أن يفكّر وأضاف: "كل من خلق علق، والموت لا بدّ منه، لكن بين موت وموت فرق كبير؛ زلمة بيموت "مهتري" من كثرة الاستعمال، وزلمة بيموت مصدّي من قلّة الاستعمال"

ثم نهر حماره ومشى تاركًا حبل الكلام للحمار.

لذلك عاهدوا أنفسكم أن تموتوا مُهترئين من استعمال عقولكم وأجسادكم، لا مصدّين من قلة الاستعمال!

دمتم بكل خير

أ.أيمن جبارة